أصول الإيمان
والشرائع والأخلاق
في القرآن الكريم

د. محمد زين العابدين مصطفى
استاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج
جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أكمل الدين وأتم النعمة ، ورضى لنا دين الإسلام • وأشهد أن لا إله إلا الله الملك القدوس السلام • وأشهد أن سيدنا محمدا نبى الهدى ورسول السلام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأبرار الأعلام •

وبعد ••

فلقد جاءت رسالة سيدنا محمد ﷺ خاتم الرسالات ومصدقة لها ومهيمنة عليها وكان كتابها وهو القرآن الكريم مصدقاً للكتب السابقة ومهيمناً عليها كما يشير الى ذلك قوله تعالى : « **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه** »(١) •

وقال جل ذكره أيضا : « **نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان** »(٢) الى غير ذلك من الآيات الصريحة الدالة على هذا المعنى •

---

(١) سورة المائدة آية : ٤٨ .

(٢) سورة آل عمران الآيتان : ٣ ، ٤ .

وتوضيحاً لهـذا المعنى فإننى أقـدم فى هـذا البحث المتواضع لمحـة موجـزة عن أصـول الإيمـان والشـرائع والأخـلاق فى القـرآن الـكريم .

فأقـول وبالله التوفيق :

يشـتمل هـذا البحـث إن شـاء الله تعـالى على النقـاط الآتيـة : —

النقطـة الأولى : أصـول الإيمـان .

النقطـة الثانية : أصـول الشـرائع .

النقطـة الثالثة : أصـول الأخـلاق والفضـائل .

النقطـة الأولى :

أصـــول الإيمـــان

ـ اتفقت جميع الرسالات السماوية على أصول الإيمان على امتداد دعوات الرسل « عليهم الصلاة والسلام » ولم تختلف هذه الرسالات فى تقرير أصول الإيمان قبل أن ينال منها التحريف والتبديل ، لأنها تتحدث كلها عن مقررات ثابتة لا يقوم الإيمان إلا بها ، فهى حقائق ثابتة لا تتطور ولا تتغير ولا يدخلها النسخ كما يدخل فروع الشرائع ، وقد جاءت النصوص القرآنية تؤكد هذه الحقيقة ، فقال تعالى : **« ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت »(١) .**

قال القرطبى فى تفسير هذه الآية : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله) أى بأن اعبدوا الله ووحدوه . (واجتنبوا الطاغوت) أى اتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم ، وكل من دعا الى الضلال (٢) .

وقال تعالى : **« ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك**

---

(١) سورة النحل آية : ٣٦ .

(٢) تفسير القرطبى ج ١٠ ص ١٠٣ .

لئـن أشركت ليحبطن عمـلك ولتكونن من الخاسرين بـل الله فاعبد وكـن من الشـاكرين » (٣) .

قـال الإمـام النسفى رحمـه اللـه : (ولقـد أوحى إليـك والى الذين من قبـلك) من الأنبيـاء عليهـم السـلام (لئن أشركت ليحبطن عملك) الذى عملت قبـل الشـرك (ولتكونن من الخاسرين) وإنمـا قـال لئـن أشركت على التوحيـد والمـوحى إليهـم جماعة لأن معنـاه أوحى إليـك لئـن أشركت ليحبطن عمـلك والى الذين من قبـلك مثـله (٤) .

وقـال سـبحانه : **« وما أرسلنا من قبـلك من رسـول إلا نـوحى اليـه أنـه لا إلـه إلا أنـا فاعبدون »** (٥) .

قـال ابن كثـير ـ رحمـه الله ـ فى تفسير هذه الآيـة : فـكل نبى بعثـه الله يدعـو الى عبـادة الله وحـده لا شريك لـه والفطـرة شـاهدة بذلك أيضـا (٦) .

ـ وقـد وجـه الله النـداء العـام لبنى آدم محـذرا إياهم الشيطان ومهـالك الغـواية ومذكـرا إياهـم بأصـل النشـأة والمعـاد .. فقال تعـالى : **« يابنى آدم لا يفتنكم الشيطان كمـا أخـرج أبويكم من الجنـة .. الى قـوله .. يا بنى آدم إمـا**

(٣) سـورة الزمـر الآيتان : ٦٥ ـ ٦٦ .
(٤) تفسـير النسـفى ج ٤ ص ٦٥ .
(٥) سـورة الأنبيـاء آيـة : ٢٥ .
(٦) تفسـير ابن كثـير ج ٣ ص ١٧٦ .

يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »(٧).

إن المتأمل فى هذه الآيات يجد أن النداء الموجه الى جميع بنى آدم قد تكرر أربع مرت وذلك قوله : (يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان ... يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشا ... يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ... يابنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى ...) وفى ذلك ما يشير الى اتفاق جميع الرسالات والأديان السماوية حول أصول العقيدة السليمة الراسخة والقائمة على الأمر بتوحيد الله وعبادته والإخلاص له وعدم الإشراك به وعدم الافتتان بغواية الشيطان فعداوته متأصلة قديمة قدم آدم أبى البشر جميعاً حيث كان سببا فى إخراجه من الجنة . كما تضمنت الآيات الكريمة أمر البشرية جميعا بالتمتع بطيبات الرزق الحلال من مأكل وملبس ومشرب دون إسراف ، كما بينت الآيات الكريمة أنه لا حرام إلا ما حرمه الله ورسله وأن الله قد أمر باقسط وعبادته بإخلاص وهذه الأوامر كلها والنواهى لا تختص بها أمة دون أمة أو رسالة دون رسالة وإنما هى موجهة الى جميع بنى آدم كما يرشد ويشير الى ذلك النداء القرآنى فى الآيات الكريمة .

---

(٧) سورة الأعراف الآيات : ٢٧ — ٣٦ .

— وعقيدة الإيمان تشمل عناصر أساسية تطهر القلب من بذور الشرك والوثنية وتربطه بروحانية صافية وهى :

١ — ما يجب الإيمان به فى جانب الله تعالى إقراراً بوجوده وخلقه وتدبيره وقضائه وقدره ، وإفراداً له بالوحدانية والعبادة ووصفاً له بصفات الكمال والجلال .

٢ — ما يجب الإيمان به فى جانب الوحى والرسالات من الملائكة والكتب والنبيين .

٣ — ما يجب الإيمان به فى حالات اليوم الآخر من البعث والجزاء .

— وقد تحدثت آية البر ، فى سورة البقرة عن هذه العقيدة الواضحة الشاملة بقوله تعالى : **« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ... »** (٨) .

هذه الآية من أجمع الآيات فى تحديد معنى البر ، فهى ترشد الى أن البر لا يرتبط بشىء من الصور والمظاهر والأشكال ، وإنما يرتبط بالحقائق ولب الأمور وروح التكاليف

ومن هنا نعلم أن عقيدة الإيمان قد بعث الله بها رسله كافة ، وأن هذه العقيدة هى التى تحل لغز الوجود

---

(٨) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

وتفسير للانسان سر الحياة والموت ، وتجيب على الأسئلة المتوالية : من أين ؟ والى أين ؟ ولم ؟ فهذه العقيدة نزلت بها كتب السماء كافة عامها آدم بنية ، وأعلنها نوح فى قومه يشير الى ذلك قوله تعالى : « **ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قومى اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** » (٩) .

ودعا إليها هود وقومه فقال عز وجل : « **وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون** » (١٠) .

ودعا نبى الله صالح قومه ثمود وذلك فى قوله تعالى : « **وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره** » (١١) .

ونادى بها إبراهيم واسماعيل وإسحاق وغيرهم من رسل الله ، قال سبحانه وتعالى : « **ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحاق إله واحدا ونحن له مسلمون** » (١٢) .

---

(٩) سورة الأعراف آية : ٥٩ .
(١٠) سورة الاعراف آية : ٦٥ .
(١١) سورة هود آية : ٦١ .
(١٢) سورة البقرة الآيتان : ١٣٢ ، ١٣٣ .

المقصود من قوله سبحانه (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) الأمر بالثبات على الإسلام الى حين الموت ، أى فاثبتوا على الإسلام ولا تغار قوة أبداً واستقيموا على محجته البيضاء حتى يدرككم الموت وأنتم على الإسلام الكامل (١٣) .

ولقد أكد وحدة العقيدة موسى فى توراته ، وداود فى زابوره وعيسى فى إنجيله .

وجاءت عقيدة الإسلام خاتمة للرسالات الى قيام الساعة فنقت التوحيد وكمال الألوهية مما شابها على مر العصور ، ونقت النبوة والرسالات مما عراها من سوء التصور ، ونقت عقيدة الجزاء الأخروى مما دخل عليها من أوهام الجاهلين وتحريف المغالين وانتحال المبطلين فكمل بها الدين وتمت بها النعمة كما يشير الى ذلك ما جاء من أواخر القرآن نزولا حيث قال سبحانه : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** » (١٤) .

---

(١٣) صفوة التفاسير جـ ١ ص ٩٨ .
(١٤) سورة المائدة آية : ٣ .

النقطـــة الثانيـــة :

أصـــــول الشـــــرائع

وحـــدة الدين عند الله حقيقـــة دلت عليهـــا النصوص فقـــد اتفقت الشـــرائع فى أصـــول التشريع غالبـــاً ، لأن مصـــدر التشريع واحـــد ، فقـــد شـــرع الله لعباده ما يصلح شأنهم على امتـــداد رحـــلة البشرية ، وأرســـل اللـــه فى كـــل أمـــة رســـولا بشـــيرا ونذيـــرا ، ليجـــدد ما اندرس من معـــالم أصـــول الدين ، ويضيف بأمـــر الله ما يناسب كـــل قـــوم من شـــرائع فى فـــروع الدين **« لـــكل جعلنـــا منـــكم شرعـــة ومنهاجـــاً »(١)** . فالاختلاف إذن فى فـــروع الشـــرائع ، وفى ميـــادين التطبيق العمليـــة ، ولكن يبقى الجوهـــر واحـــدا فى رســـالات الأنبيـــاء فـــكل شريعة تصـــدق ما قبلهـــا من الشرائع وتمهـــد لمـــا بعدهـــا ، كمـــا قال تعالى : **« شـــرع لـــكم من الدين ما وصى بـــه نوحـــاً والذى أوحينا إليـــك وما وصـــينا بـــه إبراهيـــم ومـــوسى وعيسى أن أقيمـــوا الديـــن ولا تتفرقوا فيـــه »(٢)** .

قـــال الإمـــام النسفى رحمـــه الله : أى شـــرع لـــكم من الدين دين نـــوح ومحمـــد ومن بينهما من الأنبيـــاء عليهـــم السلام ، ثـــم فســـر المشـــروع الذى اشترك هـــؤلاء الأعـــلام من رســـله

---

(١) ســـورة المـــائدة آيـــة : ٤٨ .
(٢) ســـورة الشورى آيـــة : ١٣ .

فيه بقوله (أن أقيموا الدين) والمراد إقامة دين الإسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون المرء بإقامته مسلما ولم يرد به الشرائع فإنها مختلفة ، قال الله تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » ، « ولا تتفرقوا فيه » ولا تختلفوا فيه (٣) .

وجاء القرآن الكريم مصدقاً لما بين يديه من الكتب السابقة ومهيمناً عليها بما يشتمل عليه من استيعاب لجوانب الكون والحياة كلها ، وما يصلح البشرية الى قيام الساعة **« وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه »** (٤) .

قال الألوسى : قوله سبحانه (من الكتاب) بيان (لما) واللام فيه للجنس بناء على ادعاء أن ماعدا الكتب السماوية ليست كتباً بالنسبة إليها (٥) .

ـ ولنأخذ أمثلة من اتفاق أصول الشرائع : ـ

١ ـ الصلاة : ـ

وهى الركن الثانى بعد الشهادتين ، قال تعالى على لسان أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام : **« رب اجعلنى**

---

(٣) تفسير النسفى ج ٤ ص ١٠٢ .
(٤) سور المائدة آية : ٤٨ .
(٥) روح المعانى للالوسى م ٣ جـ ٦ ص ١٥١ .

مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء » (٦) .

وقال تعالى : « ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله إنى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى » (٧) .

وقال عز وجل : « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » (٨) .

وقال على لسان موسى عليه السلام : « واجعلوا بيوتكم قبله وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين » (٩) .

وقال على لسان عيسى : « وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا » (١٠) .

وقال تعالى عن هذه الأمة المحمدية : « حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » (١١) .

وقال تعالى : « فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا » (١٢) .

---

(٦) سورة ابراهيم آية : ٤٠ .
(٧) سورة المائدة آية : ١٢ .
(٨) سورة الأنبياء آية : ٧٣ .
(٩) سورة يونس آية : ٨٧ .
(١٠) سورة مريم آية : ٣١ .
(١١) سورة البقرة آية : ٢٣٨ .
(١٢) سورة النساء آية : ١٠٣ .

فالاتفاق حاصل فى أصل مشروعية الصلاة ، ولكن الكيفيات والمواقيت ربما كانت مختلفة فى الصور وميادين التطبيق .

٢ ـ الزكاة : ـ

وهى الركن الثالث ، قال تعالى : « **وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة . وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** » (١٣) .

قال تعالى عن اسماعيل عليه السلام : « **وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا** » (١٤) .

وقال تعالى عن عيسى بن مريم عليه السلام : « **وجعلنى مباركاً أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا** » (١٥) .

وقال تعالى فى حق هذه الأمة المحمدية : « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** » (١٦) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى جاءت مؤكدة لغرض الزكاة .

ويلاحظ مدى ارتباط الزكاة بالصلاة فى عشرات المواضع من كتاب الله العزيز .

---

(١٣) سورة البينة الآيتان : ٤ ، ٥ .
(١٤) سورة مريم آية : ٥٥ .
(١٥) سورة مريم آية : ٣١ .
(١٦) سورة التوبة آية : ١٠٣ .

فالصلاة عبادة روحية بدنية ، والزكاة عبادة مالية ، وهما لازمتان اصلة العبد بربه وتزكية النفس والمال وتكافل المجتمع (١٧) .

٣ — الصيام : —

وهو الركن الرابع ، قال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »** (١٨) .

فالصيام فريضة قديمة على المؤمنين فى كل دين) ، كما تنص عليه الآية فى قوله (كما كتب على الذين من قبلكم) فأما تعيينه برمضان أو أيام من كل شهر أو غير ذلك بالنسبة للأمم السابقة فلم يتعرض القرآن بالتفصيل ولم يصح من السنة فى ذلك ما يتعين الأخذ به فيما أعلم ، فالعلم عند الله تعالى . وأما بالنسبة للأمة الإسلامية فقد تعين ذلك فى شهر رمضان كما ينص عليه قوله : **« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه »** (١٩) . وينص على ذلك أيضاً قول الرسول ﷺ فيما رواه ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « بنى الإسلام

---

(١٧) دراسات فى التفسير الموضوعى ص ٣٤ .
(١٨) سورة البقرة آية : ١٨٣ .
(١٩) سورة البقرة آية : ١٨٥ .

على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » متفق عليه (٢٠) .

٤ - الحج : -

وفيما يتعلق بالحج وهو الركن الخامس من أركان الإسلام يقول تعالى مخاطباً إبراهيم عليه السلام : **« وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »** (٢١) .

ويقول عز وجل آمرا أمة محمد ﷺ : **« ولله على الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا »**(٢٢) .

ويقول أيضا : **« وأتموا الحج والعمرة لله »** (٢٣) .

٥ - القصاص : -

قال تعالى فى معرض الحديث عن الأحكام التى تضمنتها التوراة : **« وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين**

---

(٢٠) صحيح البخارى ج ١٠ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، صحيح مسلم ص ٢٥٩ .

(٢١) سورة الحج الآيتان : ٢٦ - ٢٧ .

(٢٢) سورة آل عمران آية : ٩٧ .

(٢٣) سورة البقرة آية : ١٩٦ .

بالعيـــن والأنف بالأنف والأذن بالاذن والســـن بالســـن والجروح قصـــاص » (٢٤) .

وجـــاء الإسلام ، فقال الله عـــز وجـــل : **« يا أيهـــا الذين آمنـــوا كتب عليـــكم القصـــاص فى القتلى الحـــر بالحـــر والعبـــد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى لـــه من أخيـــه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليـــه بإحســـان ذلك تخفيف من ربـــكم ورحمـــة فمن اعتدى بعـــد ذلك فلـــه عـــذاب أليـــم . ولكم فى القصاص حيـــاة يا أولى الألبـــاب لعلكم تتقـــون » (٢٥) .**

فالقصاص عقـــوبة مقـــررة فى جميـــع الشرائع الإلهية المتقدمة لضرورة حمـــاية الأنفس وصـــيانة المجتمعـــات من الفوضى وانتهاك الحـــرمات .

٦ ـ الجهـــــاد : ـ

قـــال تعـــالى : **« وكـــأين من نبى قـــاتل معـــه ربيون كثـــير فمـــا وهنـــوا لمـــا أصابهم فى ســـبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصـــابرين » (٢٦) .**

ومعنى قـــوله : (ربيون كثـــير) أى الألوف : قاله ابن مسعود وابن عبـــاس فى روايـــة ، وقيـــل : الجماعات الكثـــيرة ـ قـــاله

---

(٢٤) ســـورة المـــائدة آيـــة : ٤٥ .
(٢٥) ســـورة البقـــرة الآيتان : ١٧٨ ـ ١٧٩ .
(٢٦) ســـورة آل عمـــران آيـــة : ١٤٦ .

مجاهد وعكرمة ، وقيل الفقهاء والعلماء - قاله سعيد بن جبير وجماعة (٢٧) .

والمقاتلة دفاعاً عن النفس أو الدين أمر مشروع فى جميع الشرائع حسب مقتضيات الأحوال والظروف .

قال تعالى حكاية عن بنى إسرائيل : « **ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم أبعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين** » (٢٨) .

وجاء الإسلام بشرع الجهاد لاعلاء كلمة الله فى الأرض ، وحكمها بشريعة الله ، فليس عدوانا ولا إبادة للحرث والنسل كما يصوره أعداء الإسلام ، ولكنه دفاع عن النفس فى المقام الأول . قال تعالى : « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله** » (٢٩) .

فالجهاد نصرة للمظلومين والمضطهدين ، وتمكين لحرية الإرادة الانسانية فى اختيار الدين الذى ينسجم مع الفطرة التى

---

(٢٧) زاد المسير لابن الجوزى ج ١ ص ٤٧٢ .
(٢٨) سورة البقرة آية : ٢٤٦ .
(٢٩) سورة الحج الآيتان : ٣٩ - ٤٠ .

فطـر الله النـاس عليهـا المتمثلة فى رسـالة الإسلام الخـالدة . فـلا إكـراه فى الدين بعـد تحطيـم مراكـز القـوى المعـادية التى تصـد عن سبيل الله وتحجب نـور الله .

٧ - الـزواج :

وهـو سـنة لبقـاء النسـل ، وقضـاء الوطـر ، فى لقـاء طاهـر شريف بين الذكـر والأنثى من بنى البشـر فى جميع الشرائع بدأت العـلاقة الزوجية بين أبى البشـر آدم وبين حـواء عليهما السـلام ، قـال تعـالى : « **يا أيهـا النـاس اتقـوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحـدة وخـلق منهـا زوجهـا وبث منهمـا رجالا كثـيرا ونسـاء** » (٣٠) .

وقـال تعالى : « **وقلنـا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنـة وكـلا منهـا رغـدا حيث شـئتما** » (٣١) .

وهـذه العـلاقة الزوجية من آيات الله أودعهـا فى رابطـة الزواج على امتداد الوجود البشـرى ، قـال تعالى : « **ومن آياته أن خـلق لـكم من أنفسكم أزواجـا لتسكنوا إليهـا وجعـل بينكم مـودة ورحمـة إن فى ذلك لآيات لقـوم يتفـكرون** » (٣٢) .

والـزواج فى سـنن الأنبيـاء والرسل جميعـا ، قال تعالى .

---

(٣٠) سـورة النسـاء آيـة : ١ .
(٣١) سـورة البقـرة آيـة : ٣٥ .
(٣٢) سـورة الـروم آيـة : ٢١ .

« **ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية** » (٣٣) .

وقال فى حق نوح ولوط عليهما السلام : « **ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين** » (٣٤) .

وقال فى حق زكريا عليه السلام : « **فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه** » (٣٥) .

وقال فى شأن موسى عليه السلام : « **قال إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج** » (٣٦) .

وقال فى شأن إبراهيم عليه السلام : « **فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها** » (٣٧) .

وقال فى حق نبينا محمد ﷺ : « **يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن** » (٣٨) .

الى غير ذلك من أصول الشرائع فى العبادات والمعاملات التى جاءت بها رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

---

(٣٣) سورة الرعد آية : ٣٨ .
(٣٤) سورة التحريم آية : ١٠ .
(٣٥) سورة الأنبياء آية : ٩٠ .
(٣٦) سورة القصص آية : ٢٧ .
(٣٧) سورة الذاريات آية : ٢٩ .
(٣٨) سورة الأحزاب آية : ٥٠ .

النقطـــة الثالثـــة :

أصـــول الأخـــلاق والفضـــائل

قـد جـاءت الرسالات السماوية بأصول الأخـلاق والفضائل وبقيت فى الشـرائع على مـر العصـور موازين ثابتـة لبنى البشر لا يدخلها ولا يطـرأ عليهـا تبديل ، لا فى الشريعة الواحدة ، ولا بين شريعة وأخـرى وحـظ كـل أمـة منهـا بمقدار استمساكها بأسس هـذه الأخـلاق والفضائل التى جـاءت بهـا الأنبيـاء .

فقـد اتصـف الأنبيـاء عليهـم الصـلاة والسلام بأفضـل الصفات وأنبـل الأخـلاق والفضائل وفى مقدمتها : الصدق والأمانة والفطـانة والبيـان .

وقـد وصـف الله أنبيـائه بصفات كريمة ، فقـال تعالى عن إبراهيـم عليـه السلام : « **إن إبراهيم لحليـم أواه منيب** » (١). وقـال سبحانه عن نبينـا محمـد ﷺ : « **وإنك لعـلى خـلق عظيـم** » (٢) ، وما من الأنبيـاء إلا وقـد اتصف بأكـرم الصفات وأنبـل الفضـائل .

وعندما نأخـذ أمثـلة من أمهـات الفضـائل والأخلاق نجـد هـذه الحقيقة واضـحة فى كتـاب الله تعـالى ، فعندما نقـرأ قول

---

(١) سـورة هـود آيـة : ٧٥ .
(٢) سـورة ن آيـة : ٤ .

الله عـز وجـل : « إن الله يأمـر **بالعـدل والإحسان وإيتـاء** ذى **القـربى وينهى عن الفحشـاء والمنـكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وأوفـوا بعهـد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمـان بعـد توكيدها وقـد جعلتـم الله عليـكم كفيـلا إن الله يعـلم ما تفعلون** » (٣).

نجـد أن الآيتين اشتملتا على أبـرز أصول الأخلاق والفضائل وإنك لتعجب كيف جمعتا هـذه الأصول الأخلاقية الجامعة فى عبارات موجـزة : « **إن هـذا القـرآن يهـدى التى هى أقـوم** » (٤) إنـه كلـه مبـادىء وأخـلاق وقيـم ..

* **فالعـدل :**

أسـاس التعـامل الأمثـل بين العبـد وخالقه ، وبين البشر وأنفسهم ، حكاماً ومحكومين ، أفـراداً وجماعات ، والعـدل مطلب أخـلاقى كـريم فى جميـع الشرائع لأنـه قـاعدة ثابتـة للتعامل لا تميـل مع الهـوى ، ولا تتـأثر بالـود والبغض .

وقـد أكـد القـرآن الكريم هـذا المبـدأ بقـوله تعـالى : « **يا أيهـا الذين آمنـوا كـونوا قـوامين للـه شهداء بالقسـط ولا يجرمنكم شـنئان قـوم على ألا تعدلوا أعـدلوا هـو أقـرب للتقـوى واتقـوا الله إن الله خبـير بمـا تعمـلون** » (٥) .

---

(٣) سـورة النحـل الآيتـان : ٩٠ - ٩١ .
(٤) سـورة الإسـراء آيـة : ٩ .
(٥) سـورة المـائدة آيـة : ٨ .

*** والإحسـان :**

أعلى درجات المراقبة وهو أصل من أصول الشرائع فسره رسول الله ﷺ كما فى حديث جبريل المشهور **« أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »** (٦) .

فالإحسان يشمل كل عمل ، وكل تعامل ، فيشمل محيط الحياة كلها ، فى علاقة العبد بربه ، وعلاقاته بجميع المخلوقين ، ولهذا قال ﷺ : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء ... الخ » (٧) وهكذا « إيتاء ذى القربى » لتأكيد مبدأ التكافل الاجتماعى ، والتدرج فى المحيط المحلى الى المحيط العام ، وفق نظرة الإسلام التنظيمية لهذا التكافل (٨) .

« وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » : —

*** فالفحشاء :**

كل أمر فاحش يتجاوز حدود الله ، ومنه العدوان على الأعراض وانتهاك المحرمات .

*** والمنكر :**

كل ما أنكره الشرع وتنافى مع الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها .

---

(٦) صحيح مسلم . كتاب الإيمان . ج ١ ص ٣٧ .
(٧) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥٤٨ .
(٨) فى ظلال القرآن ج ٤ ، ص ٢١٩٠ .

*** والبـــغى :**

هـــو الســـطو والاعتداء على حـــق الغـــير بدون حـــق .

« وأوفـــوا بعهـــد الله إذا عاهدتم ... » : ــ

*** فالوفـــاء بالعهـــود والمواثيق :**

هـــو الضمان لبقـــاء عنصـــر الثقـــة فى التعامل بين النـــاس على مســـتوى الأفـــراد والجماعات والدول .

وهـــكذا نجـــد فى كـــل مبـــدأ من هـــذه المبـــادىء الأخلاقية قـــاعدة ثابتـــة التعـــامل العـــادل على امتـــداد رحـــلة البشـــر الى قيـــام الســـاعة .

ــ فأسس الأخـــلاق والفضائل ، لا يعتريها النســـخ ولا التبدل فى جميـــع الرســـالات .

*** فبـــر الـــوالدين :**

مقـــرر فى الشرائع جميعـــاً والإحسان إليهمـــا فى غـــير معصية الله حتى ولـــو كانا كافرين ، من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم . قـــال تعـــالى : « **أن اشـــكر لى ولوالديك إلى المصـــير وإن جاهداك على أن تشـــرك بى ماليس لك بـــه عـــلم فـــلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيـــا معروفـــا** » (٩) .

---

(٩) ســـورة لقمـــان الآيتان : ١٤ ــ ١٥ .

*** وصـــلة الأرحـــام :**

علاقة عظـم الإسلام من شأنها ، فقال تعالى : « **واتقـوا الله الذى تساءلون بـهوالأرحـام** » (١٠) وقـرن سبحانه قطيعة الرحم بالفسـاد فى الأرض ، فقـال تعالى : « **فهـل عسيتم إن توليتـم أن تفسـدوا فى الأرض وتقطعـوا أرحامكم** » (١١) .

ومـدح الله عـز وجـل الواصـلين لرحمهـم بقـوله : « **والذين يصـلون ما أمـر الله بـه أن يوصـل ويخشون ربهـم ويخـافون سـوء الحسـاب** » (١٢) .

فعمـوم النصوص القرآنية تدل على مشروعية الترابط الأسرى **بالمعـروف عبـر مسـيرة الإنسانية المؤمنة** ، وقـد أكـد القـرآن الكريم هـذه الرابطة بقـوله : « **وأولـوا الأرحـام بعضهم أولى ببعض فى كتـاب الله** » (١٣) .

*** والأمـــانة :**

مسئولية أخلاقيـة عظمى ، لـم تستطع السماوات والأرض والجبـال حمـل تبعاتهـا وتكاليفها عندما عـرض الله ذلك عليهـا بـل أشفقن من حملهـا ، وقـد حمـل الإنسـان أعبـاء هـذه الأمـانة ووعـد بالوفـاء بهـا ، فمن قـام بهـا وفـق منهـج

---

(١٠) سـورة النسـاء آيـة : ١ .
(١١) سـورة محمـد آيـة : ٢٢ .
(١٢) سـورة الرعـد آيـة : ٢١ .
(١٣) سـورة الأنفـال آيـة : ٧٥ .

الله فـاز وظفـر بخـيرى الدنيـا والآخـرة ، ومن خـان أمانته وضـيع ما استأمنه الله عليـه خسـر دنيـاه وآخـرته ، وقـد تحـدث القـرآن الكريم عن هـذه المسئولية الأخلاقية العظيمـة فقـال تعـالى : « **إنـا عرضنا الأمـانة على السموات والأرض والجبـال فـأبين أن يحملنهـا وأشفقن منهـا وحملهـا الإنسـان إنـه كـان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتـوب الله على المؤمنين والمؤمنـات** » (١٤) .

وقـد اتصـف أنبيـاء الله ورسـله بالأمانة ، فهـذا نـوح أبـو البشـر الثـانى يقـول فيمـا قصـه القـرآن الـكريم : « **إذ قـال لهـم أخوهـم نـوح ألا تتقـون إنى لـكم رسـول أميـن** » (١٥) .

وقـال هـود عليـه السـلام لقـومه : « **ألا تتقـون إنى لـكم رسـول أميـن** » (١٦) .

وقـال صـالح عليـه السلام لقـومه : « **ألا تتقـون إنى لـكم رسـول أميـن** » (١٧) .

وكـذلك قـال لـوط وشـعيب ومـوسى عليهـم السـلام لأقوامهـم .

---

(١٤) سـورة الأحـزاب الآيتان : ٧٢ ـ ٧٣ .
(١٥) سـورة الشعراء الآيتـان : ١٠٦ ـ ١٠٧ .
(١٦) سـورة الشـعراء الآيتـان : ١٢٤ ـ ١٢٥ .
(١٧) سـورة الشعراء الآيتـان : ١٤٢ ـ ١٤٣ .

- وقد جمع الله محاسن الأمانات لسيد ولد آدم نبينا محمد ﷺ فأكمل الله به الدين وأتم به النعمة على المؤمنين من البشرية الى يوم القيامة ، وجعل كتابه مهيمناً على الكتب ومصدقاً لها ، ورسالته خاتمة للرسالات وجامعة لمحاسنها ، وجعل أمته خير الأمم ، فقد استأمنه الله على خير كتاب أنزل على خير نبى ، وأعطاه الشفاعة العظمى ، وهى المقام المحمود الذى وعده الله به .

- فالأمانة من أبرز أمهات الأخلاق والفضائل ، وللأنبياء عليهم الصلاة والسلام الحظ الأوفر من القيام بهذه الأمانة ، فهم أمناء الله على وحيه ورسالاته ثم يأتى بعدهم الأمثل فالأمثل من سائر الأمم .

وقد مدح الله المؤمنين وجعل من صفاتهم رعاية الأمانات والعهود ، فقال تعالى : « **قد أفلح المؤمنون** » الى قوله : «**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** » (١٨) .

* والصبر :

من أخلاق الأنبياء وأولى العزم من الرجال وقد أمر النبى ﷺ أن يصبر على دعوته ويتحمل المشاق كما تحملها غيره من أولى العزم من الرسل فقال تعالى : « **فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم** » (١٩) .

---

(١٨) سورة المؤمنون الآيات : ١ - ٨ .
(١٩) سورة الاحقاف آية : ٣٥ .

وبين الله أن الصبر من شيم أولى العزمات ، فقال تعالى :
« ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور » (٢٠) .

ووعد الله الصابرين بمضاعفة أجورهم بغير حساب فقال تعالى :
« إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » (٢١) .

*** والصدق :**

من أخلاق الأنبياء ، وشمائل الأتقياء ، رفع الله به مقام الصادقين والصديقين ، ووصف القرآن أنبياء الله بهذه الصفة الكريمة ، فقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام :
« واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا » (٢٢).

وقال تعالى عن إسماعيل : « واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا » (٢٣) .

وقال عز وجل فى شأن إدريس : « واذكر فى الكتاب ادريس إنه كان صديقا نبيا » (٢٤) .

وقال سبحانه عن مريم : « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » (٢٥) .

---

(٢٠) سورة الشورى آية : ٤٣ .
(٢١) سورة الزمر آية : ١٠ .
(٢٢) سورة مريم آية : ٤١ .
(٢٣) سورة مريم آية : ٥٤ .
(٢٤) سورة مريم آية : ٥٦ .
(٢٥) سورة المائدة آية : ٧٥ .

وتحدث القرآن الكريم عن نبينا محمد ﷺ بأنه جاء بالصدق وهو القرآن الكريم قال تعالى : « **والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون** » (٢٦) . وذلك على رأى من فسر (الذى جاء بالصدق) **بأنه النبى** ﷺ ، و (الذى صدق به) هو أبو بكر رضى الله عنه (٢٧) .

وقد جعل الله الصدق صفة من صفات أهل البر والتقوى فبعد أن ذكر آية البر فى سورة البقرة ختمها بقوله تعالى : « **أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** » (٢٨).

وأخبر سبحانه وتعالى عن تكريم الصادقين يوم الوقوف بين يديه فقال تعالى : « **ليجزى الله الصادقين بصدقهم** » (٢٩).

وقال تعالى أيضاً : « **قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم** » (٣٠) .

الى غير ذلك من أمهات الأخلاق والفضائل التى جاء بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وجاءت متكاملة فى رسالة نبينا محمد ﷺ ، بما تمم من مكارم الأخلاق ومحاسن الفعال ، كالتواضع ، والحلم ، والعفو ، والتسامح ، والجود

---

(٢٦) سورة الزمر آية : ٣٣ .
(٢٧) روح المعانى للالوسى م ١٢ جـ ٢٤ ص ٣ .
(٢٨) سورة البقرة آية : ١٧٧ .
(٢٩) سورة الأحزاب آية : ٢٤ .
(٣٠) سورة المائدة آية : ١١٩ .

والكرم ، والشجاعة ، والإيثار ، والحياء ، وحسن الخلق في أوسع ميادينه .

هذه لمحات موجزة عن أصول الإيمان والشرائع والأخلاق في القرآن الكريم ، وكل موضوع من الموضوعات السابقة يمكن أن يكتب في بحث مطول مستقل ضمن أبحاث التفسير الموضوعي.

هذا وإن آية البر في سورة البقرة أشارت الى هذه الأصول الثلاثة وذلك حيث قال الله تعالى : « **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** » .

فهذه الآية ترشد الى أن البر ثلاثة أنواع جامعة لكل خير .. ـ بر في العقيدة ، وبر في العمل ، وبر في الخلق : ـ

* **فالبر في العقيدة :**

بينه عز وجل في قوله : « **ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين** » (٣١) ، الإيمان بالله

---

(٣١) سور البقرة آية : ١٧٧ .

عـز وجـل : فى ربوبيته ووحدانيته ، وكمـال صـفاته .

والإيمـان باليـوم الآخـر يـوم الحشـر والنشـر والجزاء والحسـاب .

والإيمـان بالله واليـوم الآخـر : همـا الايمـان بالمبـدأ والمعـاد ، ولا يمكن للعقـل البشـرى أن يعـرف ذلك مسـتقلا دون الـوحى والرسـالة .

إذن . لابـد من واسطة بين المصـدر الأول وهـو الله تعالى وبين بقيـة خلقـه ، وهـذه الواسطة هى طريق المعرفة لمستلزمات الإيمـان باللـه واليـوم الآخـر ، تتكـون الواسطة من ثلاثـة عنـاصر : -

● عنصـر فى الطـرف الأعـلى .. ولـه بحسـب تكوينـه وخلقـه استعداد يمكنـه من التلقى عن الله مباشرة ، وهـم الملائكة ، والإيمـان بهـم أصـل الايمـان بالـوحى ، فيـلزم من إنكارهم إنكـار الـوحى ، وهـو يستلزم انكـار النبـوة وإنكـار الدار الآخـرة .

● وعنصـر فى الطـرف القـريب من النـاس .. هـو منهـم بمقتضى بشريته ، ولـه صـلة بالمـلا الأعـلى بمقتضى روحانيته وهـم الأنبيـاء ، يتصاون بالملائكة الذين هـم سـفراء اللـه أو سفرته كمـا عبـر القـرآن فى قـوله : « **بأيدى سـفرة** » (٣٢)

---

(٣٢) سـورة عبس آيـة : ١٥ .

فيتلقون عنهم ما أمر الله به من أحكام وتشريعات .

● والعنصر الثالث .. هو الرسالة نفسها والوحى ، وقد عبر عنها فى الآية (بالكتاب) ، والتعبير بالكتاب دون الكتب إشارة الى وحدة الدين عند الله ، وأن الإيمان بكتاب ما من الكتب السماوية إيمان بالكل .

*** اما البر فى العمل :**

فله شعب كثيرة ترجع كلها مهما تنوعت الى بذل النفس والمال ابتغاء مرضاة الله وهناءة خلق الله ، والعمل هو مدد العقيدة ، وفى الوقت نفسه هو ثمرتها يحفظها وينميها ، ويدل عليها .

*** أما البر فى الخلق :**

فقد ذكرته الآية فى مبدأين : ـ

ـ مبدأ القيام بالواجب ، وعبرت عنه الآية بقوله تعالى . **« والموفون بعهدهم إذا عاهدوا »** .

ـ ومبدأ مقاومة الطوارىء والتغلب على عقبات الحياة وقد عبرت عنه الآية بقولها : **« والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس »** .

والعهد لفظ شامل يجمع ألواناً من الارتباطات والالتزامات لا غنى للناس عنها ، ولا استقامة للحياة بدونها ، وهى على كثرتها ترجع الى : ـ

- عهد بين العبد وربه ، كما فى قوله تعالى :
« ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان » (٣٣) .

- أو عهد بين الإنسان والانسان .

- أو عهد بين الدولة والدولة .

وهكذا يضع القرآن الكريم أصول العهود والمواثيق العادلة ، ويجعل الوفاء بها من البر الذى يسمو بالإنسان فى دنياه ويسعده فى أخراه (٣٤) .

وخلاصة القول : فإن جميع الرسالات السماوية تدعو الى مبادىء متحدة فى أصول العقيدة والشرائع والأخلاق الفاضلة ولا غرابة فى ذلك فإن المشرع واحد هو الذى أرسل جميع الرسل وأنزل جميع الشرائع .

هذا وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

د. محمد زين العابدين مصطفى

---

(٣٣) سورة يس آية : ٦٠ .

(٣٤) دراسات فى التفسير الموضوعى ص ٢٨ - ٣٠ .

ثبت بأهم المراجع التى اعتمدت عليها فى إعداد هذا البحث

١ ــ القرآن الكريم •

٢ ــ تفسير القرآن العظيم ــ للامام أبى الفداء اسماعيل ابن كثير •

٣ ــ التفسير الواضح ــ د• محمد محمود حجازى •

٤ ــ تفسير النسفى ــ لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى •

٥ ــ الجامع لأحكام القرآن ــ لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى •

٦ ــ دراسات فى التفسير الموضوعى ــ د• زاهر عواض الألمعى

٧ ــ روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى ــ للامام أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى •

٨ ــ زاد المسير فى علم التفسير ــ لابن الجوزى •

٩ ــ صحيح البخارى ــ الامام محمد بن اسماعيل البخارى •

١٠ــ صحيح مسلم ــ الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى •

١١ــ صفوة التفاسير ــ د• محمد بن على الصابونى •

١٢- فتح القدير - محمد بن على بن محمد الشوكانى •

١٣- فى ظلال القرآن - سيد قطب •

١٤- قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس - أبى اسحاق احمد بن محمد النيسابورى المعروف بالثعالبى •

١٥- مختصر تفسير الطبرى - لأبى يحيى محمد بن صباح التجيبى •